ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلـة أبعاد / مختبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية والسياسية بالجزائر
جامعة وهران2 - المجلد 05 - العدد 01 / جوان 2019

القصّة بين القرآن المكيّ والقرآن المدنيّ
-قصة موسى عليه السلام أنموذجاً-

The story between makkah and Madinah quran
- the story of Moses peace be upon him model -

مسعود زقاو *[1]، رمضان يخلف [2]
[1] كليّة أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الجزائر
[2] كليّة أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2018/07/02 تاريخ القبول: 2019/03/14 تاريخ النشر: 2019/06/30

الملخص: هذا البحث هو عبارة عن تعريف بالمنهج القرآني في عرض القصص، و محاولة لتبيين الفوارق بين وُرود القصة القرآنية في السور المكيّة، و وُرودها في السور المدنيّة؛ وذلك كلّه من أجل الوُصول إلى كيفية مُراعاة الخطاب القرآني لحال المُخاطبين، وبيان صلاحيته لكلّ زمان ومكان، وإظهار الخصائص التّي تميّز بها القرآن المكيّ عن القرآن المدنيّ من خلال القصّة القرآنيّة، كلّ هذا بالتّمثيل بأكثر القصص ذكرا في القرآن ؛قصّة موسى عليه السلام، التّي تكرّرت في نزولها عبرة للنبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

الكلمات المفتاحية: القصة؛ موسى عليه السلام؛ مقاصد؛ القرآن المكيّ، القرآن المدنيّ.

Abstract: This research is a definition of the Quranic approach in the presentation of the stories, and an attempt to clarify the leaves between the receipt of the Quranic story in the Makki wall and its appearance in the civil wall. This is all in order to reach the way to observe the Qur'anic discourse of the situation of the speakers, The characteristics that distinguish the Makkah Qur'an from the Qur'an through the Quranic story are all represented by the most mentioned stories in the Qur'an; the story of Moses, peace be upon him, which was repeated in its descent as an example of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) and his companions

Keywords: The Story: Moses peace be upon him; The purposes; Makkah Quran

* الباحث المُرسل: zegaoumessaoud@gmail.com

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

تُعتبر القصّة القرآنيّة من أهمّ الأساليب التّي اعتمدها القرآن الكريم لتحقيق مقاصده وأهدافه، كونها أكثر الأساليب تأثيراً في النّفوس لارتباطها بالوحي، قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [سورة يوسف: 3]، لذا نجد القصة في القرآن احتلّت مساحة واسعة من القرآن الكريم موزّعة بين سوره المكيّة وسوره المدنيّة، متنوّعة في صور عرضها من حيثُ الطول والقصر.

وتُعدّ قصة موسى عليه السلام من أكثر القصص التّي تكرّر ذكرها في القرآن الكريم، تارةً مفصّلة وتارةً مختصرة.

فهل وُرود القصّة في السور المكيّة يختلف عن وُروده في السور المدنيّة؟، وما هي خصائص القصّة في القرآن المكيّ والقرآن المدنيّ؟

سأحاول الإجابة عن هذه الإشكاليات في هذا المقال سائرا في ذلك وفق الخطة الآتية:

مقدمة

المطلب الأوّل: أسلوب القرآن في عرض القصص.

المطلب الثاني: القصص القرآني في السور المكيّة والسور المدنيّة.

المطلب الثالث: قصة موسى عليه السلام بين القرآن المكيّ والقرآن المدنيّ.

خاتمة

المطلب الأوّل: أسلوب القرآن في عرض القصص.

من خصائص القصّة القرآنية التّي تمتاز بها عن غيرها من القصص، طريقة العرض والمفاجأة والتكرار، وسأحاول ذكرها باختصار على النحو التالي:

الفرع الأوّل: طريقة العرض.

تتنوّع أساليب عرض القصّة القرآنية إلى طرائق مختلفة للابتداء على النحو التالي:

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

1. يُذكر ملخصًا للقصّة يسبقها، ثم يعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئها إلى نهايتها، وذلك كطريقة قصّة "أهل الكهف"، فكأن هذا التلخيص كان مقدّمة مشوّقة للتفصيلات.

2. تُذكر عاقبة القصّة ومغزاها؛ ثمّ تبدأ القصّة بعد ذلك من أوّلها وتسير بتفصيل خُطواتها وذلك كقصّة سيّدنا موسى عليه السلام في سورة القصص، فكأنّ هذه المقدمة، التي تكشف الغاية من القصّة كانت تمهيدًا مشوّقًا لمعرفة الطريقة التي تتحقّق بها هذه الغاية المرسومة المعلومة.

3. تُذكر القصّة مباشرة بلا مقدّمة ولا تلخيص، ويكون في مفاجآتها الخاصة ما يُغني، مثل ذلك قصّة مريم عند مولد عيسى عليه السلام.

4. ومرّة يُحيل القصّة تمثيلية، فيذكر فقط من الألفاظ ما ينبّه إلى ابتداء العرض؛ ثم يدع القصّة تتحدث عن نفسها بوساطة أبطاله، وذلك كقصّة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.[1]

الفرع الثاني: طريقة المفاجأة.

ويكون ذلك على النحو التالي:

1. يُكتم سِرّ المفاجأة عن البطل وعن النَّظَّارَة – من ينظُرون إلى الأشياء -، حتى يُكشف لهم معًا في آن واحد، مثال ذلك قصّة موسى عليه السلام مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف.

2. يُكشف السِّر للنَّظَارة، ويترك أبطال القصّة عنه في عِماية؛ وهؤلاء يتصرّفون وهم جاهلون بالسّر، وأولئك يشاهدون تصرّفاتهم عالمين، وأغلب ما يكون ذلك في معرض السخرية، ليشترك النَّظارة فيها منذ أوّل لحظة، حيث تُتَاح لهم السُّخرية من تصرّفات الممثّلين!، ومثال ذلك قصّة أصحاب الجنّة:

﴿**إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِين وَلاَ يَسْتَثْنُون فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُون فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيم**﴾ [سورة القلم: 17-20]، وبينما نحن نعلم هذا، كان أصحاب الجنّة يجهلونه:

[1] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، (ط: 17)، 1/181-183.

﴿فَتَنَادَوا مُصْبِحِين أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِين فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُون أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِين وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِين﴾ [سورة القلم: 21-25]،وقد ظلمنا نحن النَّظارة نسخر منهم، وهم يتنادون ويتخافتون، والجنّة خاوية كالصّريم؛ حتى انكشف لهم السّر أخيرًا بعد أن شبعنا تهكمًا وسخرًا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّون بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُون﴾ [سورة القلم: 26-27]، وذلك جزاء من يحرم المساكين!

فهذا لون من التناسق كذلك، يضاف إلى نظائره هنالك.

3. يُكشف بعض السِّر للنَّظارة، وهو خافٍ على البطل في موضع، وخافٍ على النَّظارة وعن البطل في موضعٍ آخر؛ في القصّة الواحدة، مثال ذلك قصّة عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة، وعرفنا نحن أنه بين يدي سليمان، في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم: ﴿فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [سورة النّمل: 42]، فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرّها سلفًا. ولكنّ مفاجأة الصَّرح الممرّد من قوارير، ظلّت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرّها معها، حينما: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [سورة النّمل: 44].

4. ومرة لا يكون هناك سرّ، بل تواجه المفاجأة البطل والنَّظارة في آن واحد، ويعلمان سرَّها في الوقت ذاته: وذلك كمفاجآت قصّة مريم، حين تتّخذ من دون أهلها حجابًا، فتفاجأ هناك بالروح الأمين في هيئة رجل، فتقول: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا} [سورة مريم: 18]. نعم إنّنا عرفنا قبلها بلحظة أنه "الرُّوح" ولكن الموقف لم يَطُل فقد أخبرها: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَمًا زَكِيًّا﴾ [سورة مريم: 19].[1].

الفرع الثالث: التّكرار.

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرّر في غير موضع ، فالقصّة الواحدة قد يتعدّد ذكرها في القرآن، مثل قصّة موسى عليه السلام فقد ذكرت في كثير

[1] المصدر السابق، 1/183-187.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

من سور القرآن الكريم منها: سورة البقرة والمائدة والأعراف ويونس وهود وطه والقصص والشعراء والنّمل وغافر والنّازعات.

والحقّ أنّ تعرض القرآن لما حدث مع نبيّ من الأنبياء مع قومه في أكثر من موضع ليس هو تكراراً بالمعنى الحقيقي، إنّما هو استشهاد بالقصّة لأغراض متعدّدة، لذلك لا نجد القصّة تُعاد كما هي، وإنّما يذكر الجزء المناسب للغرض والمقصد الذي اقتضى الاستشهاد بالقصّة باستعراض سريع، أمّا جسم القصّة فلا يكرّر إلّا نادراً.[1]

ذكر الشيخ محمّد رشيد رضا رحمه الله: "أنّه قد تتكرر القصّة الواحدة في القرآن، ولكن في تكرارها فوائد في كلّ منها فائدة لا توجد في الأخرى من غير تعارض في المجموع، لأنّها لما كانت منزّلة لأجل العبرة والموعظة والتأثير في العقول والقلوب؛ اختلفت أساليبها بين إيجاز وإطناب، وذكر في بعضها من المعاني والفوائد ما ليس في بعضها الآخر حتَّى لا تُملَّ ألفاظها ومعانيها، ثُمَّ إن الأقوال المحكية فيها إنما هي معبرة عن المعاني وشارحة للحقائق وليست نقلا لألفاظ المحكي عنهم بأعيانهم، فإنّ بعض أولئك المحكي عنهم أعاجم، ولم تكن لغة العربي منهم كلغة القرآن في فصاحتها وبلاغتها، هذا وإنّ اختلاف الأساليب وطرق التعبير في قصص القرآن وفي القرآن عموماً عن المعنى الواحد لا تختلف إلا لكي تُفيد في فهمها فائدة لفظية أو معنوية"[2].

المطلب الثاني: القصص القرآني في السور المكيّة والسور المدنيّة.[3]

يشتمل على كثير من القصص الذي جاءت موزّعة على سوره المكيّة والمدنيّة على حدّ سواء. يقول محمد قطب رحمه الله: " والملاحظة الجوهرية على القصة القرآنية أنّها جاءت متوزّعة على سور القرآن، فلم تأت قصّة غالباً وقد اكتملت منذ البدء حتى المنتهى فيما عدا قصّة يوسف عليه السلام، وهذا التوزيع لحلقات القصة مرتبط بإبراز الغرض الديني".[4] وسأتناول في هذا المبحث توزيع القصص في السور المكيّة والسور المدنيّة.

الفرع الأوّل: القصص القرآني في السور المكّي.

---

(1) نور الدّين عتر، "علوم القرآن"، مطبعة الصباح، (ط:1، 1414هـ/1993م)، ص249.
(2) محمد رشيد بن علي رضا، "تفسير المنار"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط: 1993م)، .
(3) فضل حسن عباس،"قصص القرآن الكريم"، دار النفائس، (ط:3، 1430هـ/2010م)، ص83-96.
(4) سليمان محمد الدقور، "المنهج في القصص القرآني"، دار القطوف ومكتبة الرسالة، (ط:3، 1433هـ/2012م)، ص92.

إنّ السبع الطوال التي تبدأ بسورة البقرة وتنتهي بسورة براءة كانت أكثر سورة فيها نالت نصيبا من القصص:

- **سورة الأعراف**، وذلك لأنّها جاءت تُعالج موضوع العقيدة من حيثُ تاريخها البعيد، لذلك نجدها ابتدأت بقصة آدم عليه السلام، ثمّ ذكرت قصة نوح عليه السلام بعد فصول كثيرة من الآيات، وبعد قصة نوح عليه السلام مباشرة ذكرت قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وموسى عليه السلام مع فرعون وبني إسرائيل، ونلحظ أنّ القصص في سورة الأعراف عدا قصّة آدم عليه السلام كانت جميعها حديثا عن الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وما لقي هؤلاء من أولئك من شدّة وعنت.

وبقيّة السبع الطوال كلّها سور مدنيّة، والقصص التي ذُكرت في بعضها مع قلّتها كانت حديثا عن بني إسرائيل فحسب.

- **سورة يونس** وجاءت بحديث موجز عن نوح عليه السلام، وقد بدأت به السورة ثمّ حديثا فيه بعض التفصيل عن قصّة موسى عليه السلام مع فرعون.

- **سورة هود** وبدأت بالحديث عن قصّة نوح عليه السلام مفصّلة تفصيلا تامّا، ثمّ جرت على هذا الترتيب التاريخي فذكرت قصّة هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام وإشارة موجزة لقصّة موسى عليه السلام، ولكن قصّة إبراهيم عليه السلام في سورة هود لم تكن عمّا جرى بينه وبين قومه، وإنّما عمّا كان بينه وبين الرسل من الملائكة، وكأنّما ذكرت مقدّمة لقصة لوط التّي فصّلت الحديث عنه مع قومه بعض التفصيل.

- **سورة يوسف** وهي خاصة بقصة سيّدنا يوسف عليه السلام.

- **سورة إبراهيم** وفيها إشارة موجزة لقصّة موسى عليه السلام، وشيء من نبأ إبراهيم عليه السلام، وبأنّه أمّة وأنّه أب الأنبياء، لأنّ أكثر الأنبياء الذين أرسلهم الله من بعده من ذريّته.

- **سورة الحجر** وذكرت قصّة آدم عليه السلام ثمّ انتقلت بعد فاصل قصير إلى الحديث عن إبراهيم عليه السلام، لكن لا من حيث كان بينه وبين قومه، وإنّما من حيث مجيء الرسل وتبشيرهم له، ثمّ تحدّثت عن قصّة لوط عليه السلام وأشارت إشارتين موجزتين

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

خاطفتين إلى أصحاب الحجر الذين سُميّت السورة باسمهم وأصحاب الأيكة، ولكن بإيجاز.

- **سورة النّحل** وهي سورة النعم فلا شيء فيها من القصص، اللهم إلّا بعض الآيات ثناءً على إبراهيم عليه السلام.

- **سورة الإسراء** ولا نقرأ فيها إلّا لمحة عن قصّة آدم، وهذا يتلاءم مع موضوع السورة، وما ذُكر فيها من إشارات لبعض القصص، إنّما ذكر من خلال الآيات التّي تتّسق مع آية الإسراء.

- **سورة الكهف** وتحدّثت عن قصّة أصحاب الكهف، وقصّة صاحب الجنّتين، وقصّة ذي القرنين، وقصّة موسى عليه السلام مع العبد الصالح.

- **سورة مريم** وبدأت بالحديث عن زكرياء عليه السلام وبشارته بيحي عليه السلام، ثمّ جاءت قصّة مريم، وهذا على عكس ما جاء في سورة آل عمران حيث بدأ الحديث عن مريم، لأنّ السورة الكريمة سُميت باسمهم، وبعد الحديث عن زكرياء وابنه عليهما السلام، ومريم وابنها عليهما السلام حدّثتنا السورة عن إبراهيم وأبيه وبنيه، وموسى وأخيه عليهم السلام، ولكن لا من حيثُ كان بينهم وبين أقوامهم، وإنّما هي إشارات ثناء على أنبياء الله، ونلحظ أنّ الذين حدّثتنا السورة عنهم كانوا من ذريّة إبراهيم عليه السلام، اللهم إلّا ما جاء من إشارة موجزة عن إدريس عليه السلام.

- **سورة طه** والحديث فيها عن موسى عليه السلام، وعن أكثر من جانب في حياته: رسالته وإرساله إلى فرعون وخبره مع بني إسرائيل، ثمّ وبعد فاصل من الآيات تحدّثنا عن قصّة آدم عليه السلام.

- **سورة الأنبياء** ولها من اسمها نصيب، فلقد كان الحديث فيها عن الأنبياء عليهم السلام ثناءً ومنّةً وفضلًا، ولكن كان الحديث فيها موجزا إيجازاً تامّاً، بدأ الحديث فيها عن موسى عليه السلام بآيتين اثنتين، وهكذا كان الحديث عن لوط ونوح وداود وسليمان وأيّوب عليهم السلام جميعاً.

- **سورة الحجّ** فلا نقرأ فيها شيئاً من القصص، ولعلّ اسمها يُشير إلى الحكمة في ذلك، أمّا ما ذُكر عن إبراهيم عليه السلام فإنّما كان حديثًا ذا صلة بالحجّ.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

- **سورة المؤمنون** وتحدّثنا بإيجاز يكفي المؤمنين للعبرة عن نوح وهود، ولمحة عن موسى وهارون عليهم السلام، وجعل ابن مريم وأمّه آية، إنّ ذلك متلائم تمامًا مع اسم السورة الكريمة وموضوعها.

- **سورة الفرقان** وهذه السورة جاءت علاجاً للشبهات التي أثارها المشركون حول الرسالة والرسول، وما ذكر فيها من إشارة عن السابقين لم يكن عما جرى بين الأنبياء وأقوامهم من حوار وجدال، وإنّما كان بيانً لما حلّ بأولئك بعبارات قصيرة موجزة.

- سورة الشعراء وهي أكثر تعداداً لقصص الأنبياء، فقد ابتدأت الحديث بعد ذكر القرآن والنبيّ وأهل مكة، ابتدأت الحديث عن موسى عليه السلام مع فرعون، وبعدها تنتقل السورة للحديث عن إبراهيم عليه السلام ولكن هذا الحديث يكون أكثر ما يكون عن تمجيد إبراهيم عليه السلام لربّه، ثمّ تحدّثنا السورة عن قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام.

- **سورة النمل** وتذكر شيئا عن قصّة موسى عليه السلام ومبدأ رسالته، ولكن بإيجاز، ثمّ تذكر داود وسليمان عليهما السلام، وتُفصّل الحديث عن سُليمان وما كان من ملكة سبأ، ثمّ تحدّثنا عن ثمود وقوم لوط ولكن بما ليس فيه تفصيل.

- **سورة القصص** وتذكر عن بادئ بدء موسى عليه السلام إلى أن أُرسل إلى فرعون.

- **سورة العنكبوت** وتذكر عن نوح وإبراهيم ولوط عليهم السلام وآية واحدة جمع فيها عادٌ وثمود، وآية واحدة عن قارون وفرعون وهامان، وإشارة موجزة لمدين.

فكان أكثر ما فيها تلخيصًا لما مرّ في كتاب الله من قصص الأنبياء عليهم السلام.

- **سورة الرّوم** وقد اكتفت أن يُشار فيها إلى الرّوم وغلبتهم، ولم يُذكر فيها شيء من القصص.

- **سورة لقمان** وقد اكتفت بذكر وصيّة لقمان عليه السلام لابنه.

- **سورة السجدة** لم تُحدّثنا عن شيء من هذا القصص، اللهم إلا بدء خلق الإنسان من طين.

- **سورة سبأ** وذُكرت فيها قصّة واحدة؛ قصّة داود وسُليمان عليهما السلام ثمّ أتبعت بقصّة سبأ.

- **سورة فاطر** ولم يأتِ فيها شيء من القصص.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

- **سورة يس** لم يُذكر فيها إلّا المثل لأصحاب القرية قال تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُون إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُون**﴾ [سورة يس:13-14].

- **سورة الصّافات** وذُكر فيها الأنبياء من حيث الثناء عليهم، والنبيّ الذي فُصّل خبره هو إبراهيم عليه السلام.

- **سورة ص** وتحدّثت عن بعض ما ابتُلي به بعض الأنبياء كداود وسُليمان وأيّوب عليهم السلام، والثناء بإيجاز على إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذي الكفل عليهم السلام.

- **سورة الزمر** لم يُذكر فيها شيء من قصص الأنبياء.

- **سورة غافر** وتحدّثت عن نبأ موسى عليه السلام، وتفيض في الحديث عن مؤمن آل فرعون.

- **سورة فُصّلت** وفيها الحديث عن أهل مكة ووعيدهم إن أعرضوا.

- **سورة الشورى** وليس فيها شيء من القصص القرآني.

- **سورة الزخرف** وفيها إشارة عن إبراهيم عليه السلام، وشيء عن خبر موسى عليه السلام مع فرعون وما كان من اعتزاز فرعون وفخره بنفسه ومُلكه.

- **سورة الدخان** وتحدّثنا شيئا عن خبر فرعون متّسقًا مع ما أُصيب به أهل مكة حينما دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالسّنين كسني يوسف عليه السلام.

- **سورة الجاثية** وفيها إشارة موجزة عن بني إسرائيل وما خصّهم الله به، ولكنّهم اختلفوا.

- **سورة الأحقاف** وفيها إشارة إلى ساكني الأحقاف وهم عاد.

ويبدأ المفصّل فنجد إشارة موجزة في بعض سوره كما في سورة **"ق"** والذاريات، والقمر، وما جاء من ذكر موسى عليه السلام وقومه في سورة الصفّ، ومن خبر أصحاب الجنّة واحب الحوت في سورة **"ن"** ومن إشارات في سورة الحاقّة.

والسورة الوحيد في المُفصّل التّي فصّل فيها، كانت سورة نوح عليه السلام، حيث كانت كلّها حديثًا عنه.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

وكلّ ما كان في المفصّل إشارات فقط؛ كما جاء في سورة المزمّل وسورة الفجر والشمس والبروج عن أصحاب الأخدود.

وهناك سورتان كان فيهما بعض التفصيل عن بعض الأنبياء وهما:

سورة الذاريات حيثُ فصّلت في نبأ إبراهيم عليه السلام، وبعض الإشارات إلى قوم لوط وفرعون وعاد وثمود.

وسورة النّازعات التّي أجملت الحديث عن خبر موسى عليه السلام مع فرعون.

ولا ننسى آخر سورة من سور القصص التّي تحدّثت عن أصحاب الفيل وما كان جزاؤهم في محاولتهم الاعتداء على البيت الحرام وهدمه.[1]

الفرع الثاني: القصص القرآني في السور المدنيّة.

- **سورة البقرة** وقد تحدّثت هذه السورة الكريمة عن قصّة آدم عليه السلام، وقصّة بني إسرائيل، وقصّة طالوت.

- **سورة آل عمران** وقد تحدّثت عن قصّة بني إسرائيل بالتفصيل، وقصّة يحي وزكرياء ومريم عليهم السلام.

- **سورة المائدة** وفي هذه السورة الكريمة ذُكرت قصّة هابيل وقابيل ابني آدم، وإشارة إلى قصّة عيسى عليه السلام.

- **سورة الأحزاب** وفيها أنّ الله ينصر عباده المؤمنين، وقد ابتُلوا فنصرهم الله على الأحزاب.

- **سورة الصفّ** وفيها ذكر لقصّة موسى عليه السلام مع قومه.

- **سورة التحريم** وقد تحدّثت هذه السورة الكريمة عن القصص المضروب للتمثيل، كقصّة امرأة نوح وامرأة لوط، وامرأة فرعون، وإشارة إلى قصّة مريم عليها السلام.

المطلب الثالث: قصة موسى عليه السلام بين القرآن المكيّ والقرآن المدنيّ.

تُعتبر قصّة موسى عليه السلام من أكثر القصص ذِكرا في القرآن الكريم، حيث نجد اسم موسى عليه السلام ذُكر مائة وستّ وثلاثين مرّة موزّعا على أربع وثلاثين سورةً من

[1] سليمان محمد الدقور، مرجع سابق، ص112.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

سُور القرآن الكريم بوجوه وأساليب متنوّعة.[1] وقد أخذت القصّة الحيّز الأكبر في القرآن من سوره المكيّة مُظهرة العلاقة التّي كانت بين موسى عليه السلام وفرعون، وهذا يتماشى مع الواقع الذي كان يعيشه النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه، أمّا غالب وُرودها في السور المدنيّة فكان الحديث عن علاقة موسى مع بني إسرائيل.

وقصّة موسى عليه السلام مع فرعون ليست قصّة فرد مع ملِك، وليست قصّة نبيّ كريم مع جبّار عظيم، إنّما هي قصّة تتكرّر في كلّ زمان ومكان، وتَبرز في كلّ وقت وحين، وهي تُصوّر حقيقة واقعيّة أليمة، تُصوّر الصراع بين الحق والباطل، وتُصوّر المعركة الضارية بين جُند الرحمان وجُند الشيطان، تلك المعركة التّي قامت بين أولياء الله وأعداء الله، مُنذ فجر هذا الوجود، ومنذ أن ظهر على مصرح الحياة الدُعاة والمصلحون، والأنبياء والمُرسلون.[2]

وسأحاول في هذا المطلب ذكر بعض المواقف من قصّة موسى عليه السلام التّي تُظهر الفوارق بين ذكر القصّة في السور المكيّة وذكرها في السور المدنيّة التّي تبيّن تماشي الخطاب القرآني ومُراعاته لحال المُخاطَبين وواقعهم:

1- نموذج من نزول قصّة موسى في العهد المكيّ: قال تعالى في سورة القصص: ﴿**نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِين وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِين**﴾ [سورة القصص:02-05].

قوله: ﴿**آنَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون**﴾، أي:نَذكرُ لك الأمر على ما كان عليه كأنَّك تشاهد وكأنَّك حاضر، ثمّ قال تعالى: إنَّ فرعون علا فِي الأرض: أي تكبَّر وتَجبّر وطغى وجعل أهلَها شيَعا أي أصنَافا قد صرّف كلّ صنف فيما يريد من أمور دولته.

---

[1] يُنظر: محمد فؤاد عبد الباقي، "المعجم المفهرس لألفظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف"، دار الحديث، (ط: 1364هـ) ، ص 680-681. وصلاح الخالدي، "القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم ودار الشاميّة، (ط:1، 1419هـ/1998م)، ص 280-281. بتصرف.

[2] محمّد علي الصابوني، "النبوة والأنبياء"، مكتبة الغزلي ومؤسسة مناهل العرفان، (ط:3، 1405هـ/1985م)، ص175.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يعني بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، هذا وقد سلّط عليهم هذا الملك الجبار العتيد يستعملهم في أخسِّ الأعمال، ويكدُّهُم ليلًا ونهارًا في أشغاله وأشغال رعيَّته، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم، إهانة لهم واحتقارا وخوفا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه أن يوجد منهم غلام، يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه.[1]

قال سيّد قطب رحمه الله: "هذه السورة مكية، نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة، والمشركون هم أصحاب الحول والطول والجاه والسلطان. نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوّة الله وأنّ هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان. فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ولو كان مجردا من كل مظاهر القوة، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كلّه، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلا".(2).

فيظهر جليّا من خلال الآيات مُواساة القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم وتسليته، وذلك عن طريق ذكر ما حدث لموسى عليه السلام مع قومه، فيزداد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إيماناً مع إيمانهم، قال الشيخ السّعدي رحمه الله: "فإليهم يُساق الخطاب، ويوجّه الكلام، حيث إن معهم من الإيمان، ما يُقبلون به على تدبُّر ذلك، وتلقِّيه بالقبول والاهتداء بمواقع العبر، ويزدادون به إيمانا ويقينا، وخيرا إلى خيرهم، وأما من عداهم، فلا يستفيدون منه إلّا إقامة الحجة عليهم، وصانه الله عنهم، وجعل بينهم وبينه حجابا أن يفقهوه"(3).

2- نموذج من نزول قصّة موسى في العهد المدنيّ:

قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن**

[1] ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ت: محمد أنس مصطفى الخن، مؤسسة الرسالة ناشرون، (ط:1، 1433هـ/2016م)، 558/3.
[2] سيّد قطب، "في ظلال القرآن"، دار الشروق، مؤسسة الرسالة ناشرون، (ط:17، 1412هـ/1995م)، 2674/5.
[3] عبد الرحمان بن ناصر السّعدي، "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان"، ت: عبد الرحمان بن مُعلّا اللويحق،دار الإمام مالك، (ط:1، 1430هـ/2009م)، ص570.

ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X

﴿بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [سورة النّساء: 153]. قال محمّد بن كعب القرظِيُّ والسُّدِّيُّ وقتادة: "سأل اليهود رسول اللَّه صلى اللّه عليه وسلّم أن ينَزّلَ عليهم كتابا من السّماء كما نزلت التّوراة على موسى مكتوبة"(1).

وهذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح، وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده. (2)

وهذا ممّا يبيّن أيضا لقارئ القرآن الكريم والمتدبّر في خطاباته حال المكذبين بالرسل، وأنّ ما يحدث لك يا محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلّا تعنّت، فقد سألوا موسى أكثر من ذلك.

قال سيّد قطب رحمه الله عند تفسيره لهاته الآية:

"ويتولى الله- سبحانه- الإجابة عن نبيّه. ويقصُّ عليه وعلى الجماعة المسلمة -في مواجهة اليهود- صفحة من تاريخهم مع نبيهم وقائدهم ومنقذهم موسى- عليه السلام- الذي يزعمون أنّهم يؤمنون به ويرفضون التصديق بعيسى من بعده وبمحمد، إنّ هذه الجبّلة ليست جديدة عليهم وليست طابع هذا الجيل وحده منهم، إنما هي جبلتهم من قديم. إنهم هم هم من عهد موسى- نبيّهم وقائدهم ومنقذهم- إنهم هم هم غلاظ حسّ فلا يدركون إلا المحسوسات. وهم هم تعنّتاً وإعناتاً فلا يسلمون إلا تحت القهر والضغط، وهم هم كفراً وغدراً فسرعان ما ينقلبون فينقضون عهدهم-لا مع الناس وحدهم ولكن مع ربهم كذلك- وهم هم قحة وافتراء فلا يعنيهم أن يتثبّتوا من قول ولا يتورعون كذلك عن الجهر بالنكر، وهم هم طمعاً في عرض الدنيا وأكلاً لأموال الناس بالباطل وإعراضاً عن أمر الله وعمّا عنده من ثواب، إنها حملة تفضحهم وتكشفهم وتدل قوتها وتنوّع اتجاهاتها، على ما كان يقتضيه الموقف لمواجهة خبث الكيد اليهودي للإسلام ونبيّ

(1) ابن كثير ،مرجع سابق، 806/1.
(2) عبد الرحمان بن ناصر السّعدي، مرجع سابق، ص806.

الإسلام في ذلك الأوان، وهو هو خبث الكيد الذي ما يزالون يزاولونه ضد هذا الدّين وأهله حتى الآن.".(1)

ومن خلال المثالين السابقين ندرك أنّ القرآن الكريم كان ينزل لتحقيق مقاصد وأهداف، كما أنّ تكرار القصص أحيانا ونزوله في السور المكيّة والسور المدنيّة هو لمواساة النبيّ صلى الله عليه وأصحابه وتثبيتهم حسب المواقف والحاجات الداعيّة لذلك قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾ [سورةالفرقان:32].

خاتمة:

للقصّة القرآنية خصائص تتميّز بها عن غيرها من القصص كالواقعيّة وجمال التصوير، وطريقة عرضه، والتكرار الذي يحمل معه فوائد متجدّدة، بالإضافة إلى تنوّع أساليبها في كلّ من السور المكيّة والمدنيّة، ممّا يؤكّد على المقاصد التّي من أجلها ذُكر القصص في القرآن الكريم؛ من إظهار لصدق نبوّة النبيّ صلى الله عليه وسلم، وتسليته، وتثبيت أصحابه وتقوية عزائمهم في نشر الإسلام الذي دفعوا من أجله الغالي والرخيس، وبيان قُدرة الله تعالى على نصر رُسله وإهلاك المكذبين بهم.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ت: محمد أنس مصطفى الخن، مؤسسة الرسالة ناشرون، (ط:1، 1433هـ/2016م).
2. سليمان محمد الدقور، "المنهج في القصص القرآني"، دار القطوف ومكتبة الرسالة، (ط:3، 1433هـ/2012م).
3. سيد قطب، "التصوير الفني في القرآن"، دار الشروق، (ط: 17).
4. سيّد قطب، "في ظلال القرآن"، دار الشروق، مؤسسة الرسالة ناشرون، (ط:17، 1412هـ/1995م).
5. صلاح الخالدي، "القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم ودار الشاميّة، (ط:1، 1419هـ/1998م).
6. عبد الرحمان بن ناصر السّعدي، "تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان"، ت: عبد الرحمان بن 7- مُعلّا اللويحق،دار الإمام مالك، (ط:1، 1430هـ/2009م).
7. فضل حسن عباس، "قصص القرآن الكريم"، دار النفائس، (ط:3، 1430هـ/2010م).
8. محمد رشيد بن علي رضا، "تفسير المنار"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط: 1993م).
9. محمّد علي الصابوني، "النّبوة والأنبياء"، مكتبة الغزلي ومؤسسة مناهل العرفان، (ط:3، 1405هـ/1985م).
10. محمد فؤاد عبد الباقي، "المعجم المفهرس لألفظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف"، دار الحديث، (ط: 1364هـ .
11. نور الدّين عتر، "علوم القرآن"، مطبعة الصباح، (ط:1، 1414هـ/1993م).

(1) سيّد قطب، "في ظلال القرآن"، 2/799-780.